بعد ان تدبر فيه ورأى انه يمكنه اجراه واصبح عنو رايه وصلابة وجه بعزم خارق فوق
العادة في العمل والعقل وتحمل المصائب وتجلد للاهوال والآفات وما حصل له ادنى
اضطراب او هبوط في عقله مما لاقاه من الآلام والنكبات التي توالت عليه حتى وصل
الى ما كان يؤمله من نجاح في مشروعاته مع الصداقة التي لا تفسخ التي هو للملوك
الشرعيين وبها اشتهرت اعماله الشخصية وصفاته الذاتية وكان عالي الهمة جليل المقدار
وما منعته كثرة محبته للدرهم والدينار عن اظهار كرم نفسه وسخاوته عند ما طلبت ذلك
منافع مجده وما كانت افعاله القطيعة مع اعدائه وحب طمعه للسلب والنهب والخطف شيئا
في جنب الصفات الحميدة الجليلة التي حازها هذا الرجل العجيب وقد اسلفنا الذكر بأن
فلاسكيز حاكم كوبه كان ارسل حملة لكشف نحو الجهة الغربية تحت قيادة غريالوه ودخل
في نهر طاباسكو ونزل في تلك الناحية الا انه افتكر في نفسه ان ما عمله امر في المداخلة
مع اهل البلاد حقا ويقفل ما راه لرئيسه فما رأى فلاسكيز ان هذه طاعة من غريالوه
بل اعتبرها انها بلادة وجبن منه واشتعلت في جسم نار حكايات الاراضي الجديدة فعول
على ارسال حملة اخرى اليها من بعد ما غضب غضبا شديدا على غريالوه وارسل الى اسبانيا
رسولا في طلب التصريح له بعمل حكومة واسعة واستحواذه لنفسه حكومة الاراضي والجهات
المنتظر له كشفها وفتحها ثم عرض قيادة هذه الحملة على عدة من اقاربه فما قبلها احد منهم
ورفضوا قيادتها فعرضها على فرديناند كورطيس ومن قبل كان بين فلاسكيز وكورطيس
حكاية عداوة غريبة وذلك ان كورطيس كان مغرما بحب سيدة شابة اسمها الدونه
كاطالينة يواريز وهذه صارت فيما بعد زوجته وكان الحاكم فلاسكيز مغرما بحبها ايضا
وضيق على خصمه جميل الذات واعتدى عليه اعتداآت مهولة منها انه قبض عليه مرة واودعه
في السجن فهرب كورطيس من السجن والتجأ في داخل الكنيسة ومن بعد مضي بضع ايام قبض
عليه مرة ثانية وسجنه في مركب مقيد في الحديد فهرب في زورق صغير ووصل الى حل واختفى
نفسه في دير من الديوره وفي اخر امره تزوج بالدونه كاطالينة واصلح اموره مع الحاكم
وصار نائب في حكومة سنت ياغو دو قوبه ولما عرض الحاكم عليه هذا المشروع تلقاه
مع غاية القبول وبسبب ما كان عليه من الشجاعة ومحبته عند اهل قوبه انضم اليه الشبان
والاغنياء واهل الجسارة والمجازفة في قوبه وكان البعض منهم موجودا في السفرة الاولى
مع غريالوه ومنهم كان برنال دياز اول مصنف في تاريخ الفتح وعوليد والوزاره
وغيرهم من اهل الهمة والشجاعة وكانت لهم الشهرة الكبيرة في تاريخ الدنيا الجديدة ثم انه
من بعد سفر كورطيس ابتدأ فلاسكيز في عدم الوثاقة به ووقع في قلبه الغيرة والحسد
مرة ثانية مما رأى تحت يده من زيادة قوته وعظم شوكته عن ان حالة كورطيس كانت
عظيمة مع فلاسكيز في وقت السفر ونزل كورطيس في اسطوله من مينة سنت ياغو دو
قوبه في ١٨ نوامبر سنة ١٥١٨ بعد الميلاد فلما توجه كورطيس ارسل خلفه فلاسكيز رسولا
بالقبض عليه وتشجع كورطيس باصحابه الذين معه وحضوه على البقاء في الرياسة عليهم
وطرد المغضوب وسافر من دون ان يراعي امر رئيسه وكانت عمارة كورطيس مؤلفة من
احدى عشرة سفينة صغيرة فيها ١١٠ بحرية و ٥٥٠ او ٥٥٣ نفس من العسكر
منهم ١٣ نفس بالبنادق من الطرز الجديد وفيها ٣٢ من البنادق ذات الطرز القديم وما
بقي من العسكر بالسيوف والمزاريق والنبال وعشرة قطع ادوات نارية صغيرة واثنى
عشرة او ستة عشرة حصانا وكانت هذه هي القوة التي خرج بها الجسور المجازف كورطيس
في طلب فتح مملكة شاسعة محمية بجيوش ضخمة وما كانت عمل غير شجاعة وفروسية تذكر
عن غريالوه في سفرته وما كان عند اصحاب كورطيس خوف او فزع مما هذا المشروع وسار
كورطيس في سفرته تابعا الطريق التي كان اتخذها من قبله غريالوه حتى وصل الى جزيرة
كوزوميل على مسافة من ساحل يوقطان ففهم بالاشارات من اهالي الجزيرة انهم كانوا رأوا
في الجزيرة رجال بيض الوجوه والجلود واصحاب ذقون ولحى طويلة اسرى فيها فذكر كورطيس
مكتوب من عنده لموالى الاسرى مع قارب وبعض من العسكر فكانت نتيجة هذه المادة ان
وجدوا رجلا ابيض اللون اسمه غيرونيمو داغيلار خلصوه من اسره وقال لهم انه رجل
من اهل ايسيخا من اعمال اسبانيا كانت غرقت مركبه في سنة ١٥١١ بعد الميلاد قبل
ذلك بسبع سنوات ونجى من اصحابه ثلاثة عشرة نفس حصل لهم الجوع الشديد وماتوا
عرضة لاخطار المايايون حتى نجا منهم برخصة من حاكم الجهة وجميعهم ماتوا وما بقي منهم
الا واحد غيره رفض عدم التوجه مع كورطيس بسبب ما كان عنده من زوجة واولاده
وكان وجهه منقوش بالوشم وفي اذانه حلق واستحى ان يستديم في عيشته التي التزم على

على المقام فيها مع زوجته واولاده واما اغيلار فانه قبل انضمام نفسه مع كورطيس و
كان فائدة عظيمة للاسبانيين ولو انه كان على دراية قليلة من معلومية الاراضي والبلاد
واهلها الا انه عدد اشيا كثيرة ذكرها لكورطيس فيما يخص بعوائد الامم وطبايعهم الموجودة
في صحن الاوهام وكان كورطيس في اشد الحاجة اليه وجعله ترجمانا وكان اغيلار في مدة
اسره الطويل عرف لسان البلاد وصار فيه طاقة كافية لايصال كورطيس في مخابرات ومكالمات
مع اهلها ووقع في نواحي نهر طاباسكو المعروف عند الاسبانيين بنهر غريالوه لان غريالوه
كان اول من كشفه وبين الاهليين محاربة من اجل عدم تقرب الاسبانيين من الساحل وكانت
محاربة الاهالي مع الشجاعة الا انه تولد من الاسلحة النارية وعلى الخصوص الخيول التي راءها
الاهليون انها قطعة واحدة مع ركابها وقوع الفزع الاكبر في الاهالي وتمت الهزيمة عليهم
ويروي الاسبانيون ان عسكر المسيحيين رأوا عيانا في ميدان الواقعة امامهم سنت جمس
راكب على فرس ابيض ويحارب معهم في الميدان وكان ذلك اسبابا في تمكن الشجاعة في قلوبهم
ووقوع الخوف في قلوب اعداهم حتى ولو مدبرين ومسرعين في الهروب ولما انهزم عسكر الا
هليين ارسل للغالب كورطيس هدايا وتحف وجعل نفسه عبدا لملك اسبانيا الملك الاعظم
للدنيا ومضى كورطيس في تلك الجهة يوم عيد احد الشعانين ومضى اغيلار وكان ملقف
نفسه بشماس الكنيسة بكونه يشرح ويبين للملك وامرا الجهة عن امض اسرار الديانة المسيحية
ويفهمهم قباحة وخسة عبادة الاوثان والاصنام واقيمت شعاير عيد احد الشعانين بصلاة
قداس جامعة كبيرة دخل فيها الاهليون مع غاية الوقار واقاموا هذه الاحتفالات الغريبة
بعقدهم وفي اثنا هذه المدة كان الهدو واستتباب الامن متسلطين في دواوين مكسيكا
وما عرضها ولم تنتشر الاعراب ببيض الوجوه الذين لما كانوا تركوا السواحل مع غريالوه
امل ملك مكسيكا عدم عودهم مرة اخرى واتخذ الامرا الذين طردهم وطربهم وسار العوام
في حالة سلمهم وسعادة عيشتهم مشتغلين في القوارب في الزرع والخلجان ومحاربين واتفقوا بحصول
ارضهم في حظ وانشراح وسرور وافراح ورقص وملاهي وراحة بال وعدم وجود بلبال
الى انه في يوم من الايام اي في اخر شهر مارث سنة ١٥١٩ حضر السعاة مسرعين على التحرك
الواقعة بين عمارة الساحل الى وصحن البلاط وطلبوا الحضور في الوقت امام
الملك وكان منتظرها على دراية ويقين بما يقع لانه في ظرف المدة من عهد سفر الناس البيض
من السواحل استشعر في نفسه بان هذه فترة فقط وانه لابد من حضورهم مرة ثانية من بعد
اخذهم الاحترازات اللازمة حتى تم نطق السعاة مع البشم ساكتا لايتكلم وما قال لهم
شيا سوى قولوا محدثود بغرائب ما راوا ووصفوا له المعركة ووقوع الرعب الذي
وقع في قلوب الطاباسكيين والحيوانات الغريبة التي ما راوا نظيرها من قبل الداخلة في
الحرب ركابها يديرونها ويحولونها ويعطفونها ويحوزونها كيف شاؤوا والرعد والبرق
والنيران المهلكة لقوم الاوصيين الحاكمين فيها التالي اصواتها المرجفة هلاك وموت في الحال
فجمع الملك مجلسه وتداول مع مستشاريه وعول على ارسال مندوبين مثل المندوبين الذين كانوا
ارسلهم في الاول لملاقاة الرجال البيض وكانت الهدايا التي اعطيت الى غريالوه وصلت الى
العاصمة بعد سفره فاضاف الملك اليها حلي جديدة كانت مستعملة في صنع كطزلكوطل
في ايام الاعياد ومرعية عنده بانها مقدسة عن كافة الاشيا والجواهر الموجودة في البيت
الملوكي في مكسيكا ولما توجه المندوبون بهذه الهدايا قبل كورطيس زينة كطزلكوطل وما
حصل عنده ادنى تردد في ان يزين نفسه بزينة المعبود المكسيكي فاعتقد الاهالي بان
الههم اسقرلان يكون معهم وعمل كورطيس وليمة للمندوبين بهوافيها الخمر الاوروباوي
فوجدوا فيه طعم لذة وفكاهة ونزل المجازفون من مراكبهم على البر في يوم الجمعة العظيمة
واقاموا شعاير عيد الفصح على السواحل مع غاية الابهة والثبات وقدم حاكم الاقليم فرقات
لشعاير العيد وتداولت الهدايا واستبدال الاسباب وارسل كورطيس الى منتظومة خوذة
مطلية بالذهب مع المندوبين مؤملا انها تعود اليه مملوءة بالذهب وفي ظرف مدة
العيد اشتغل النقاشون الاهليون بتصوير كل شي راوه من اجل توريته للملك وعادوا
حاملي الهدية واخبار المكالمات مسرعين الى الديوان المكسيكي ونقلوا للملك ان الاعراب
على عزم الوصول والحضور للعاصمة فعقد منتظومه مجلسا جديدا من كافة امرا عبيده وحضر
بعض ارباب المجلس على قبول كورطيس مع الاجلال وثبت اخرين على سرعة طرده من ساحل

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)